



## الوجوه المختلفة لاستمرار رسالة الإستشراق

في الذكرى المئوية لانعقاد مؤتمر المستشرقين، نظمت المؤسسة الاستشراقية مؤتمراً في باريس صيف عام ١٩٧٣، وطرح على بساط البحث تغيير مصطلح «مستشرقين» تحت عنوان أنه لم يعد يتناسب مع اتساع وتنوع الإنتاج الغربي الخاص بما هو أوسع من الشرق التقليدي. والحق أن المصطلح كان قد افتضح وخسر الكثير من رصيده الأكاديمي وأدى دوره في فترة الاستعمار المباشر، ولم يعد يتناسب مع موجة الاستقلال التي اجتاحت العالم الثالث في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم... في الحصيعة وبعد نقاشٍ طويلٍ وافق المؤتمر على تسمية نفسه «المؤتمر العالمي للعلوم الإنسانية في آسيا و شمال إفريقيا». ولم يكتب لهذا الاسم النجاح، وقد كان مصطلح كرسى الشرق الأوسط يملأ جامعات الغرب، وأصبحت الدراسات الشرق أوسطية اختصاصاً قائماً بذاته خصوصاً في الجامعات الاميركية.

واليوم تقدم مراكز التفكير المعنية بالعرب والمسلمين والشرق الأقصى أو بقارتي آسيا وأفريقيا، تقدم نفسها كجسر عبور لمعرفة العالم الآخر، تحت عناوين مختلفة، ولكنها



تضيف إلى ما ينجزه المستشرق عادة، اقتراحات عملية لما يجب عمله لاستمرار الهيمنة الغربية على كل الآخرين.

لم يعد الهدف هو التعرف على الآخر، وتأسيس علوم إنسانية تحفر في البنى السياسية والاجتماعية والإقتصادية، لتحدد أماكن زرع المتفجرات المعرفية أو السياسية فحسب، بل يتدخل ما يسمى بالخبراء اليوم في هندسة المجتمعات، وتحديد نوع الحروب التي يجب أن تخوضها، والشعارات الزائفة التي يجب أن تموت من أجلها، والقضايا التي يجب أن تشغلها بعيداً عن قضاياها الأساسية بالطبع.

تجاوز الغرب مرحلة اكتشاف قيمنا وتراثنا وعاداتنا ولغاتنا وثقافتنا... إلى مرحلة تتحول فيها قيمنا وقضايانا وثقافتنا إلى منتج يتم تصنيعه، ليخدم أهدافاً محددة. ونحن في الحقيقة لا نقصر في استهلاك ما ينتج لنا بدليل ما نشاهده اليوم من خراب في العالم العربي.

في هذا العدد:

يعالج الدكتور عبد العالي احمامو مسار الاستعراب الإسباني في المغرب العربي، وما يميزه عن الإستشراق بشكل عام، حيث تبقى اللغة والثقافة العربية مجال الاشتراك الواسع بين المصطلحين. وفي إضاءته على حياة أهم المستعربين خوسيه ماري لورشندي يكشف عن أن أساليب المستعربين في نشر التبشير المسيحي، إذ لم يقتصر التبشير على التدخل في المعرفة ودراسة اللغات واللهجات، بل دخل إلى صميم النسيج الاجتماعي للمغرب، بتأسيس المدارس ومعاهد التعليم ومساكن لإيواء الفقراء والمستشفيات بدعم مباشر من الكنيسة والدولة الإسبانية الكاثوليكية. أما الاهتمام الخاص باللهجة المحلية ووضع المعاجم الخاصة بها، فقد كان وسيلة المبشرين لتجاوز المتمسكين بالعربية الفصحى والوصول والتواصل مع العامة



من الناس، وبالطبع فإن التمكّن من العامية الدارجة والمبتذلة يمكنه أن يساعد المبشر على كسر الحواجز الدينية والنفسية، وخدمة دولته بشكل أفضل، كما بين الدكتور احمامو كيف كان مقدراً لتلك المعاجم أن تخدم القواعد العسكرية الإسبانية في المغرب في أيام لم يكن فيها راهبٌ واحدٌ يحسن العامية المغربية، مما ساهم في إطلاق البعثات الهادفة إلى تمكين عددٍ أكبر من المبشرين من إتقان العربية الفصحى والعامية. في بحثه القيم يعالج الدكتور جلال زين العابدين أثر الاستيطان الأوروبي الفرنسي وانكاساته الاجتماعية في المغرب العربي، ويبين كيف تم الاستيلاء على الأراضي من الفلاحين المغاربة بأسلوب قتل المالكين أحياناً أو بالقوانين التي فُصّلت على قياس مصلحة المستعمر. وحتى خطوات التحديث الفرنسية بالمغرب هدفت لتحويل الفلاح المغربي الذي كان حراً بأملكه إلى عاملٍ عند السلطة المستعمرة أو الإقطاعيات الخادمة لها. بنى الإستعمار الفرنسي أحزمة البؤس من الفلاحين الذين هاجروا إلى المدن إما بسبب فقدهم لأراضيهم أو لأنها لم تعد قادرة على منافسة الزراعة المحدثة التي أدارتها حكومة المستعمرة. ومع هذا أصبحت البنية الاجتماعية المفككة عاجزةً عن التضامن في وجه المستعمر بعد تحول رؤساء القبائل إلى إقطاعيين أو بسبب تفكيك بنية القبيلة.

لقد تمت صياغة نظام زراعيٍّ ملائمٍ لحاجات السوق الفرنسية ولم يخسر المزارع المغربي أرضه فقط بل خسر قوة عمله بواسطة استبدال قانونيٍّ أعاد إنتاج بروليتاريا مغربيةً كانت نواة الحركات العمالية في ما بعد.

تحليلٌ عميقٌ ومتميزٌ يقدمه الدكتور مكي سعد الله في تفكيك خطاب التحيز والمركزية عند المستشرق ألبير لو



بوليكو الذي تنكر بزّي مواطن مصريّ ليزور مكة والمدينة ويعود بكتابه «رحلة في بلد العجائب: حجٌ مسيحيٌّ إلى مكة والمدينة».

يكشف الدكتور مكّي خلفيات الصناعة الغربية للصورة النمطية، وجمود الكاتب أمام ما يثير الإعجاب في رحلة الحج المقدسة، واهتمامه بحبك الصورة المتخيلة للواقع أو المبالغة في إبراز السلبيات لتكريس صورة الآخر العدو المخيف عن المسلم الذي يمكن أن يقدم على قتله لو اكتشف أنه مسيحيٌّ. تتردد هذه المخاوف لإبراز توحش المسلمين، كما تختلط صورة البدوي المحترف للقتل والسبي والسطو مع العربي عموماً، ليصبح البدوي المتوحش هو نفسه العربي. أما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فيختار المستشرق من سيرته أموراً ويخلق أموراً تجمع بينها العجائبية البعيدة عن أن تكون أساساً لإيمان العقلاء. بحثٌ قيّمٌ جديرٌ بالمتابعة والدراسة والتأسيس عليه لأنه يرسم منهجاً في قراءة الاستشراق المتحيز عموماً.

اهتمام المستشرقين بترجمة حكم الإمام عليّ عليه السلام من القرن السابع عشر لغاية القرن العشرين، بحثٌ جمعت فيه المرحومة فادية فيض والدكتور صبيح صادق، نماذجٌ مميزةٌ من الترجمات بجهدٍ توثيقيٍّ مميز، عكس رغبة بعض المستشرقين في نقل الحكمة العلوية إلى فضائهم الثقافي.

يستعرض الدكتور عماد الدين إبراهيم عبد الرازق افتراءات المستشرقين في قضية إثبات الوحي ومعناه وإعادة تفسيره بما يتلاءم مع أهوائهم، ثم يؤكد على ما جاء به الرسول ﷺ وأن الوحي لا بد أن يكون من ذاتٍ موحية وذاتٍ متلقية باعتبار إخفاق كل محاولات نسبة القرآن إلى ذات الرسول أو إلى عصره. تقييمٌ متخصصٌ لمخطوطة ابن خروف الأندلسية لكتاب سيبويه تقدمه جينيفر هومبرت وهي تلاحق النسخ المفقودة



التي اعتمد عليها ابن خروف في نسخته. ويتتهي بها البحث إلى أن نسخة ابن خروف جامعةٌ بين النسخ الشريفة والأندلسية للكتاب المرجع في علم النحو. ولا يسعنا إلا أن نشي على الترجمة الدقيقة عن الفرنسية للأستاذ مؤنس مفتاح والتي ساهمت في توضيح مدى دقة البحث وأهميته.

عالج العلماء المسلمون وعلى رأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ما طُرح من شبهاتٍ حول اختلاف القرآن، وكانت إجاباتهم تحول الإشكال إلى فرصة لبيان روعة القرآن وإعجازه اللغوي والبلاغي والأدبي. في بحثه عن «نقد نظرية التناقض الأدبي في الآيات القرآنية» يتعرض الدكتور محمد جواد إسكندرلو لجذور الإشكالات التي طرحها القاصرون عن فهم القرآن أو الزنادقة، وما توصل إليه العلماء من ضرورة عرض النحو على القرآن بدل عرض القرآن على قواعد النحو.